د.هناء الشنواني

موت بابا نويل

تمنى أن يطيرفى الفضاء، لوكان خياليًا لحلق على الورق،ولكنه ذو إرادة حديدية، صنع لنفسه جناحين وتسلق أعلى جبل فى مدينته ووقف على قمته، ولم يتردد وطار بالفعل

بعض الوقت ثم وقع. هامت روحه فى الفضاء تتخبط من الحزن، ود أن يطير ويرى العالم كله وأن يحطم المستحيل،فحلقت روحه فى الفضاء ومات الجسد.

ظلت روحه هائمة من فرط حزنه يتخبط فى السحب، وفي الجبال. وظل يدور حول نفسه من الغم، حتى أفاق فجأة على صوت خيول تجري، فرك عينيه فرأى رجلًا أبيض الوجه ذا لحية بيضاء طويلة ومعه عربة تجرها الخيول،مليئة بالألعاب الجميلة، هز رأسه وبروح العزم والتصميم قرر أن يبحث عن الحقيقة وأن يعرف من هذا الرجل، وكيف وصل إلى الفضاء. وكيف يتحرك بمنتهى السهولة.

وبدأ رحلته، ذهب أولًا وراء بابا نويل، ذلك الرجل الأبيض الجميل الطيب؛ فرآه يوزع الهدايا واللعب على أطفال دول أوروبا. سمعهم يقولون ذلك عندما اقترب منهم ورأى الأطفال يهللون ويرحبون به، وعندما رأى النساء قال فى نفسه: إنهم يشبهون خدم أهل بغداد! وأعجبته نظافة البلاد وجمالها ولكنه ود أن يذهب إلى بغداد وإلى الأندلس حيث أهله وأحبابه، وإلى الحجاز ليحج، وإلى مصر ليقابل العلماء؛ وإلى تونس والمغرب، وإلى الهند حيث صديقه التاجرعبد الرحمن. لقد قال له آخر مرة

التقيا: إن الإسلام انتشر بسبب التجار المسلمين وحسن أخلاقهم،وأمانتهم في البيع والشراء.

وأشتاق إلى صديقى التاجر عبد الله لقد حمل عصاه وذهب إلى اليمن، وصديقي عمرو ذهب مع قافلة من التجار إلى أفريقية...أود أن أراهم. ثم انتفض فجأة عندما سمع

موسيقى صاخبة تصدر من إحدى الحانات،فدخل يختلس النظر فرأى العرايا والمخمورين فغضب وخرج سريعًا، وقال لنفسه: لا تخلو كل بلد من هذه الأشكال مهما تفعل الحكومة. ثم تأمل الناس وقال: لم أر في هذه البلاد امرأة إلاوهى عارية. من

المؤكد أن التجار المسلمين لم يصلوا إلى هنا لقد وصلت إلى اكتشاف عظيم، أرض جديدة بها حدائق غنّاء ولم يدخلها الإسلام بعد،ثم فكر...هذا الرجل الذى ينادونه ببابا نويل ألا يستطيع أن يوزع عليهم هدية السماء إلى البشر؟

أراد أن يذهب إلى بغداد فلم يستطع، لقد تغيرت الطرق، وكل شىء تغير، اعترضته فى الطريق طائرات ودخان أسود وأبراج شاهقة، فضلّ الطريق وقال لنفسه: لابد أن يرسل الخليفة العباسي إلى هذا الشعب الجديد هدية الله فبلادهم يحيط بها الظلام ويصعب الاهتداء فيها.

دار حول نفسه ولم يهتد أيضًا إلى الطريق الصحيح، فطار فى جميع الاتجاهات بحثًا عن الكعبة حتى رآها، اقترب منها فسمع لغة عجيبة، وعندما أصاخ السمع تبين مجموعة

من اللهجات فدخل بيتًا ليرتاح قليلا ،فسمع رجلين عربيين يتحدثان:

-هل ستحج هذا العام؟

-لا ، سأحج فى عام آخر فالكعبة ها هى أمامنا والعمر طويل.

-ألا تفكر في العمل بدلا من الفراغ الذي تعيش فيه؟

-ولماذا أعمل والمال كثير وأسواق أوربا عامرة؟حتى السلاح والجيش ممكن شراؤهما.

خرج سريعًا وأدرك أن الأمرلا يحتمل الانتظار؛ سيذهب إلى الخليفة فى بغداد وأسرع إلى هناك ودخل بغداد بعدما حدد موقعها تبعًا للكعبة؛ وما إن دخلها حتى رأى ما لا يسر، الأطفال يموتون والناس جائعون، أين الخليفة؟

فدخل فى جسد شاب جالس على الرصيف لا حول له ولا قوة يسأل الناس: أين الخليفة؟ ورغم الهزال والبؤس الواضح على الناس، ابتسموا وقالوا له: أتسخر ياهذا أم جننت؟ مات الخليفة منذ أكثر من ألف عام.لايوجد خليفة الآن، صُدِمت روحه ولكنه تمالك نفسه.

وسأل نفسه: ما الذي حدث؟ هل حزنت لمدة ألف عام لعدم تحقيق حلمي، هل حاول العرب أن يحلقوا مثلي في الفضاء؟ هل ركّبوا أجنحة ووصلوا إلى القمة وطاروا ليحلقوا فى السماوات فسقطوا مثلي؟ وعاشوا في الحزن لمدة ألف عام لعدم تحقيق حلمهم، ثم قال ثائرًا على نفسه: لا، ليسوا مثلي، لقد حزنت على حلمي وأنا مطمئن أن العالم فى أيد أمينة. حزنت والعلم فى أوجه وإن مات وقتها عالم لسد مكانه عشرًا، أما هؤلاء فلِمَ يضيّعون وقتهم فى الحزن وهم عرايا جائعون؟ ووقف فى سوق بغداد وصرخ فى الناس: يا أهل بغداد .. أفيقوا..

لقد عاد عباس بن فرناس.

كان هذا الشاب الذى دخلت روح عباس فيه خامل الذكر، ضعيف البنية، وبعد دخول روح عباس فيه تبدل وأصبح شخصًا آخر، ولكن عباسًا لا يستطيع أن يبقى سجينًا فى جسده بصفة دائمة، وانطلق حول العالم ليتقصى حقائقه ويسمع الأخبار من وراء النوافذ ويتعجب منهم ومن أحوالهم.

قابل عباس فى رحلته حول العالم أرواح الأموات،بعضهم يتنهد وبعضهم مستبشر ويضحك، ولكنه رأى أرواحًا ملازمة لبعض الشوارع، فسأل روحًا منها:

فقالت له: أنا شهيد فى حرب أكتوبر، وهذا الشارع سماه الناس باسمى بعد موت جسدي،وكتبوا قصص بطولتى فى الصحف والمجلات والكتب المدرسية، فتارة أقف هنا بجانب اللوحة لأفرح باسمي، وتارة أتجول فى المدارس وأستمع لكلام المدرسين والطلبة عنى. وتارة أذهب إلى المكتبات لأرى اسمي بين الكتب، وأحيانًا أصعد إلى

السماوات لأرى مكاني فى الجنة عندما يعود جسدى إلي، وهكذا تمضى حياتي كلها فى سعادة. وأحيانًا أذهب إلى أحفادي وأرى ما وصلوا إليه، ذات مرة ذهبت إلى

أستراليا حيث حفيدتى فرأيتها حزينة، اقتربت منها فاقشعر بدنها للحظات فبثثت فى روحها أنها حفيدة الشهيد المناضل البطل فرأيتها تنظر لي كأنها ترانى أمامها،

ثم سمعتها تقول لإحدى صديقاتها: أتصدقيننى إن قلت لك لقد رأيت جدي الآن أمامي، فنسيت ما بى من هموم؟

ثم سأل الشهيد عباس فجأة: وأنت أيها الأخ ...من أنت؟

-عباس بن فرناس.

فانحنى له الشهيد وقال له:

أهلًا بالروح الوثابة التى لا تعرف المستحيل.

-لاتقل هذا، فأنت أفضل مني، لقد ضحيت بنفسك في سبيل وطنك.

-ما هذا ياعباس؟ أتقول مثلما يقول أهل الأرض؟

- نعم...أنا لم أضح بحياتي، إنني لم أمت...لو يعلم أهل الأرض جميعًا ما أنا فيه لدخلوا فى قلب النار ولحاولوا الوصول إلى الشمس، ولما خافوا من الموت، فكلهم قد ماتوا رغمًا عنهم، عندما دخلت غمار الحرب - لا أخفي عليك -كنت مترددًا، ثم تذكرت أن الموت سيأتي لابد أن يأتي،ثم قالت لي نفسي: فإذا مت كيف أرى نتيجة تضحيتي؟ فنحن نحب الذكر الحسن، وكيف سأعرف أخبار أولادي وأحفادي؟ فتذكرت أن الشهيد لايموت وستطوف روحه في كل مكان يحب أن يراه وسيطمئن على أولاده.

وبالفعل بعدما مات جسدى وجدت روحى تطوف حوله؛ ورأيت أننى أحسن حالًا بعد موت الجسد لأنني كنت فى الدنيا لا أرى إلا الأرض التى أقف عليها وأسمع

من هنا أخبارًا ومن هناك أخبارًا أما بعد الموت جبت كل بقعة فى العالم؛ رأيت الكثير, إننى أشاهد كل مايحدث على الأرض وأرى نتيجة ما فعلت،ليت أهل

الأرض يعرفون ذلك! ليتهم يعرفون ذلك! حتى الفتاة التى كنت أحبها وأنا شاب ولم أتزوجها أقابلها هنا ونتجول معًا يوم الجمعة لأنها لا تخرج من قبرها إلا يوم الجمعة.

رأى عباس روحا تشع أنوارًا غريبة تشبه الوميض فسألها:

من أنت أيتها الروح الجميلة؟

- أنا جندى مت فى حرب 73 أتعرف لماذا يحيطني هذا النور؟

فسأله الشهيد الأول عن سببه، فقال له:

-لأننى دخلت الحرب وليس فى قلبى من الدنيا شيء،وقلت طالما قال الله فقد صدق إن روح الله التى نفخها فينا لا تموت أبدًا، وبعد موت الجسد لم أترك أرض المعركة. شاهدت كل شىء وشاركت الناس فرحة النصر، وإن كان كل منهم قد فرح فى بيته فلقد فرحت فى بيتي أيضًا وإن لم يراني أهلي ولكنهم أحسوا بوجودي فلقد سمعت زوجتي وهي تقول: إني أشعر بوجود إبراهيم بيننا هل تصدقونني؟

وأيضًا رأيت اليهود وهم يبكون، لوكان جسدي حيًا ما رأيت ذلك، إنني شهدت كل ذلك لأننى شهيد ومن حقى أن أرى نتيجة بذلى روحى طواعية. وأحيانًا أصعد إلى

السماء لأرى مكاني فى الجنة عندما يُعاد إلي جسدي،فأرى الجمال كله...ليت أهل الدنيا يعلمون ما أنا فيه!

كان عباس يوم الجمعة يمر بصعوية فى الفضاء من الزحام بخلاف الأيام الأخرى واستمرفى رحلته فرأى روحًا مغمومة حزينة تختبىء وراء سحابة من السحب فسألها

عن سبب حزنها فقالت: يوم الجمعة يتركنا الله لنرى نتيجة أعمالنا فى الدنيا ثم نصعد إلى الملكوت ونرى مكاننا فى الجنة أوالنار، ثم نعود إلى القبر، وها أنا يوم الجمعة أختبئ وراء تلك السحابة فليس لى ما يسعدنى في الدنيا؛ كنت عاصية وأشرب الخمر ولا أخفى عليك كنت سعيدة بحياتي، فوالدي مشهور وأحظى بالاحترامٍ وبعد موتي ذهبت إلى بيوت أصدقائي كلهم واحدًا واحدًا لأسمع ما يقولونه عنى، فسمعت أحدهم الذى طالما قبّلني وجاملنى يقول إننى مستهترة. وآخر إننى مغرورة، وغيره إننى غبية، وزوج صديقتى قال لها بعد موتى مباشرة إننى كنت داعرة وغيرشريفة، هذا الرجل الذي كان يجاملني كثيرًا، وسمعت كلامًا أبعد من الحقيقة بكثير، وبعد شهر من موتي كنت فى طي النسيان.

طار عباس بعيدًا إلى القمر ليستريح قليلًا من الزحام،فرأى بعض البشر هناك يحاولون اكتشافه فابتسم وقال: إنهم مثلي يحبون البحث. ثم راح فى تفكيرعميق، واستيقظ منه على صوت أجراس بابا نويل تأتى من بعيد، فنظرإليه وهو قادم بلعبه ووجهه الأبيض يضىء بالسعادة وبالبراءة والفرح ويُشع من عينيه وميض يُغري بالحديث معه، فاستوقفه عباس من فوره بعد أن دخل فى القمر وبدا كأن القمر هو الذى يتحدث.

- بابا نويل!

-نعم أيها القمر!

-ما الذى تفعله؟

-أوزع الهدايا على الأطفال ليلة الكريسماس.

-وهل أسعدت الأطفال بذلك؟

قال بابا نويل ببراءة وسعادة: بالطبع نعم.

- وأطفال القارة الأفريقية .. ألا تذهب إليهم؟

تلعثم بابا نويل ثم قال:

-جمعية الصليب الأحمر تتولى أطفال القارة الأفريقية.

-إننى أسالك أنت أيها الرجل الطيب الذى يوزع الهدايا بدون مقابل.

صمت بابا نويل فاشتدت نبرة عباس قليلًا وأصبح يروح ويجيء والقمر يتحرك معه ثم قال:

-وأطفال العراق والمشردون فى كل أنحاء العالم؟

-أيها القمرلا تحمّلني مالا طاقة لى به، تلك البلاد التى تحدثني عنها لا تنتمي إلى قارتي.

فزفر عباس زفرة أطارت النجوم كلها وأبعدتها وتوارى خلف سحابة سوداء فصارت الدنيا ظلامًا، وفزع بابا نويل وقال له:

-أيها القمر...ما الذى فعلته؟

-أنا حر لأنني أنتمي إلى عالم السماء.

-ولكن أليس لديك شفقة حتى تفعل ذلك؟

فقال له بحدة:

وأنت! أليس لديك الشفقة والرحمة لتعلّم هؤلاء الأطفال الرحمة؟ أليس أنت الذى تربى على يديك رؤساء البلاد الأوربية؟ ألست أنت الذى أسعدت قلوبهم بلعبك؟ كيف لم تعلمهم الرحمة أيضًا؟ أطفال العراق يموتون، ومن يملكون القانون هم أطفالك الذين كبروا، وأطفال فلسطين........

فدمعت عين بابا نويل وقال له: كفى.....

-لا! لن أكف وأطفال القارة السوداء التى نهب أطفالك خيرها! ومصوا دماءهم يتسولون منهم كوب اللبن، وأطفالك هم الدين يروجون الكذب فى العالم بقلب الحقائق!

أمسك بابا نويل قلبه من فرط الحزن وهو يقول: كفى!

ولم يرحمه عباس وقال له : إن أطفالك سرقوا القارة الأفريقية إنهم قطاع طرق!

بكى بابا نويل وقال له: قلت لك كفى!

ولم يصمت عباس وقال له أسرارًا كثيرة سمعها من خلف أبواب الزعماء والوزراء والقادة، أسرارًا لا يعلمها أحد، نستطيع أن نخمنها مما يجرى حولنا، لم يحتمل بابا

نويل كل هذه المآسي، وعندما سمع ما حدث لأطفال البوسنة مات، وطافت روحه في الفضاء وأخذ يبكي ويقول: ياليتني كنت أعلم!

أما عباس بن فرناس فلقد أخذ العربة وأخذ يستعرض اللعب لعبة لعبة.

تعب عباس من التفكير فى أهل الأرض، فأخذ يتجول بين الأرواح لعله يتوصل إلى حل. كانت أرواح الشهداء وحدها تطوف فى كل الأيام أما يوم الجمعة فهو يوم خروج بقية الأرواح والتى تعود إلى القبر عند غروب الشمس. رأى كثيرًا من الأرواح السوداء تختبيء وراء السحب وتبكي وتردد أصوات متداخلة: ليتنى كنت أعلم!

شد انتباه عباس قول: ليتنى أعود فأعمل غير الذى كنت أعمل. فسأله عباس عن حاله فقال: إكنت مسئولًا عن تزوير الانتخابات فى مدينتي،كانت سعادتي لا توصف وأنا أفعل ذلك، فهى بالنسبة لى متعة، وكذلك الإيقاع بكل مخلص في الوطن وتلفيق التهم له، كنت أقول لنفسي: ده بيستهبل وعامل فيها شريف بلاتمثيل وشغل منظرة. والآن أطوف على هؤلاء المخلصين فأجدهم فرحين،وأشاهد قصص حياتهم فى التليفزيون، وداخل البيوت أسمعهم يقرنون بين اسمى ولفظة لعنه الله، ورأيت رجلًا ناجحًا يقول أنني السبب في نجاحه، فكلما كنت أحطمه كان يشتد عزما على النجاح.

والطامة الكبرى ما وصلت إليه ابنتي،فهى تخرج مع شاب كاذب مخادع ولا يحبها وسيسرق مالها الذي تركته لها. كما سمعته وهويحدث أصدقاءه بذلك، وأنا عاجز عن إنقاذها...وأخذ يبكى.

ابتعد عباس، واقترب من رجل يحمد الله وهو مسرور، فسأله عباس عن سبب ذلك، فقال:

كنت أحب الله وأجاهد نفسى وأكرهها على الطاعات حتى أصبحت الفضيلة عادة عندي، ولا أخفي عليك أحيانًا كانت نفسي تحاول إغوائى ولكننى ناضلت واحتسبت

أجرى عند الله، والآن أرى ابنتى الوحيدة تجلس فى البيت ليل نهار تبكى وتندب حظها لأن صديقًا من أصدقاء زوجها والذى يثق فيه ويرسل عن طريقه الهدايا والمال من الخارج حيث يعمل مرض مرضًا خطيرًا وهو على فراش الموت؛ كان هذا الصديق سيستقر في بلده وأبلغ ابنتى أنه مستعد لتلبية أى طلب لها وهى لا تدرى أنه كان ينوي الإيقاع بها، وكلما أراها تبكى أحمد الله الذى حفظها وهى لاتدري...لوكنت أعلم لأكثرت من التسبيح وحمد الله.

تركه عباس واقترب من رجل يقول بصوت عالي:

لاتفعل..لاتفعل... إنه خداع. فسأله عن سبب قوله هذا، فأهل الأرض لن يسمعوه، فرد عليه:

كنت شاعرًا ،شربت الخمر وتعاطيت الأفيون وعاشرت النساء حتى أكتب شعرًا كشعر أبى نواس فضعفت صحتى ولم أكتب شعرًا مثل شعره. فعلت أشياء لا يرضاها

الله لأرضي أصحاب النفوذ وأصل إلى الشهرة؛ ووصلت إليها فكان اسمي لا يأتي إلا مقرونًا بالشاعر الكبير،وتقمصت روح العظماء ورحت أروج ما يقوله الغرب...قالوا

فصل الدين عن السياسة لأن الكنيسة دعت إلى التخلف،فقلت ذلك للمسلمين،

قالوا: شجع الإسلام الرق؛ مع أن الغرب هو الذى ساق الأفارقة واتخذهم عبيدًا. وردّدت قولهم، وبعد موتي سمعت الناس يقولون عني: كان ببغاء لعنه الله. ثم انقطعت سيرتي تمامًا،والآن رأيت ابني يسلك نفس الطريق الذي سلكته...وأنا أقول له: إذا تحمّلت ستكتب شعرًا صادقًا، وفى هذه اللحظة سمعوا هتافًا عاليًا، فالتفت عباس فرأى أرواحًا كثيرة ليس لها أول ولا آخر ويحملون روحًا جميلة ويهتفون ويقولون: المجد للخليل بن أحمد العالم الجليل!

ذهب عباس بعيدًا فى الفضاء فرأى أنوارًا من بعيد وأرواحًا جميلة؛ فاقشعرت روحه واقترب ليتعرف عليها، فقالت الأولى: وكانت أكثرها بهاءً: الخليفة المعتصم بالله.

قفز عباس وصاح:

أنت هنا وكنت أبحث عنك فى الأرض...ضحك المعتصم بعد ما عرف أنه عباس وقال له: كما عهدناك يا عباس دائمًا تبحث عن المستحيل وأنت فى الأرض أردت أن تطيرفى السماء وأنت فى السماء تبحث فى الأرض. هات ما وراؤك.

زفر عباس رغمًا عنه فتجمعت الأرواح كلها تسأل ماذا حدث،ثم قال:

ضاع تعبك أيها الخليفة، أضاعه أحفادك!

ضحك المعتصم وقال له:

لم يضع تعبى، لقد حققت ملكا فى الأرض وخاف العالم الأمة الإسلامية حتى الآن، ونقش التاريخ اسمى وأحبني الناس، وها أنا الآن أعيش سعيدًا مستبشرًا بما ادخر الله لي في الجنة، أما الأحفاد فهم أحرار فليضيّعوا ما يضيّعون،كل إنسان يجني ثمرة عمله! وأنت يا عباس، ألا تريد أن تستريح ؟!!

ترك عباس المعتصم وذهب إلى القطب الشمالى؛ بعد أن عرف الكثير من خبايا العالم الحديث وأخذ يفكر في الحل، فى هذه اللحظة رأى روحًا جميلة تختال فسألها: من أنت؟ فقالت: بلقيس ملكة سبأ. فانحنى لها إجلالا؛ ولولا قلقه على ما وصل إليه العالم العربي لجلس معها طويلًا. ولكنه اكتفى بسؤالها سؤالًا واحدًا، وهو:

-أيتها الملكة...ألا يمكن أن تفعلي شيئًا من أجل بلادك؟

-إذا استطعت أنت أن تفعل شيئًا ياعباس فأخبرنى لأفعل مثلك.

تعجب عباس من لا مبالاة المعتصم بالله، ومن سخرية بلقيس.

تركها عباس وأخذ يتجول في السماء حتى رأى روحًا ليست عادية في النور الذي يحيط بها، فسألها من بعيد لأنه لم يستطع الاقتراب منها من شدة النور:

من أنت بحق الله؟ فقال:

عمر بن الخطاب!

فانحنى له إجلالًا وقال لنفسه: أخيرًا وجدت من سيساعدنى بالتأكيد!

فسأله: يا أبا حفص....ألا تعرف ماذا جرى لأحفادك؟ فابتسم وقال له بعد ما عرفه:

إنك مندفع يا عباس .. قذفت بنفسك من فوق الجبل لتطير في السماء وها أنت الآن تريد أن تقذف بنفسك إلى الأرض لتصلحها. اترك الأرض لأصحابها، إننا الآن لسنا أصحابها.

-ولكنني حزين يا أبا حفص وأريد مساعدتهم.

فقال: انظر ماذا يفعلون، وسترى أنهم يجنون ما يفعلون.

-لاتقل هذا يا ابن الخطاب عنهم، إنهم يحبونك لدرجة أن بعض الزعماء عندهم حساسية من سيرتك ويغارون من ذكرك.

--إنها أحاديث، مجرد أحاديث، ولكنك إذا هبطت سترى العجب.

-لقد نزلت وعرفت الكثير من المؤامرات والدسائس.

-دعك من المؤامرات ودسائس الحكام والساسة، انزل إلى طبقات الشعب.

-رأيتهم .. إنهم مسحورون بوسائل الإعلام الخادعة التى تغسل عقولهم بما يريده الأمريكيون واليهود.

انفعل ابن الخطاب وقال بحدة:

-لماذا يا عباس تصر على الدفاع عن أهل الأرض؟! لقد أديت رسالتي.

ابتعد ابن عباس يبحث فى عالم الأرواح عن جماعة تحب الثرثرة والحديث، فابن الخطاب يدّعى أنه لا يبالي ولكن نبرة صوته فضحته ودلت على حزنه على أهل الأرض، هكذا ظن عباس، فانتظر حتى أتى يوم الجمعة وذهب بعيدًا بعيدًا حتى وصل إلى جمع كبير وروح تحدثهم، فجلس وعرف من المتحدث....إنه الجاحظ، فابتسم...ومن غيره يستطيع أن يجمع بين الشرق والغرب؟ سمعه عباس وهو يقول:

اسمعوا-يرحمكم الله-وعن طريق القوافل التجارية والرحلات انتقلت ثقافة الشعوب، فترى الأسطورة تتناقلها الألسنة من الشرق إلى الغرب وفى طريقها تزيد وتنقص، وعند وصولها تكون قد تبدلت تمامًا كما فعل اليهود والأمريكيون، فعندما وصلت

إليهم أخذوا منها فابتسمت لأنها تحب العطاء، وزادوا عليها فابتسمت لأنها تحب التجديد، ثم شوهوها فابتسمت وقالت: يوم لك ويوم عليك. ثم أعطوها للعرب شوهاء عوراء بعدما مصوا عظامها وقالوا لهم: هى هكذا ،فابتسمت، وعندما رأت أصحابها يرددون ما سمعوه ماتت من الغم!

فتكلم عباس وقال: يا أبا بحر...ألا يمكن إحياءها؟

فقال السادات:

لقد أعطيت هؤلاء الأولاد الفرصة فقتلونى.

فقال الشيخ الغزالى:

إنك أعطيتهم الحرية المطلقة كان ينبغى أن تقبل بحزب على درجة عالية من الفهم والعلم يتحدث رسميًا عنهم وفيما عدا ذلك فالردع واجب؛ لقد ظهرت جماعات كثيرة

اندست فيهم وبثوا تعاليم ليست من الإسلام فى شيء.

تكلم رجل مات حديثًا : ليس الآن فى مصر جماعة إسلامية يعتد بها.

تكلم الغزالي:

ليت الأزهر يعود بهاؤه ولا يلتحق به إلا المتفوقون.

كان عمرو بن العاص جالسًا فقال:

عندما دخلت مصر كانت أمة محتقرة،يستعبدهم الرومان ويأخذون خيراتهم فحررهم الإسلام من قيودهم، ثم خدعهم الغرب وقال لهم: الغزو العربى، فرددوا معه تلك المقولة ، فقاطعه مينا وحورس وأحمس وملوك الفراعنة العظام وقال أحدهم: قبل حديثي أود أن أشكر الله على إرساله عمرو بن العاص لتحرير أبنائى من ظلم الرومان ولكن لا تنس يا عمرو الحضارة الفرعونية العظيمة بما تحوى من الكنوز.

فقال عمرو: كنوزًا من الحجارة، أما الحضارة الإسلامية فهى منهج وقانون.

فقال مينا: نحن الذين وصلنا إلى معرفة الله بالفطرة.

وقال عمرو: ولكنك سخرتهم لبناء المقابر التى لا تفيد، أما نحن فقد نشرنا الإسلام من المحيط إلى ما وراء الهند.

فرد مينا:

كنا نعلمهم درسًا فى العمل من أجل الخلود. فالقبر يبقى والبيت يفنى، وأنتم أتيتم لتأصيل هذا الدرس. إننا جسّمنا فكرة الخلود أما أنتم فزرعتموها فى النفوس وهو طريق طبيعي لتطور الحياة ...المعنى المادى يسبق المعنى المجرد.

فقال رجل جاهلي:

لقد كنا نسمي الحجارة الخوالد لأنها تبقى.

فقالت كليوباترا:

اعذرنا يا عمرو...إننا نحب الخلود ولولا حبنا له ما أمرنا ببناء حجر فوق حجر وكنا نظن أن الخلود يستحق تسخير الشعب فى بنائه، وعندما أقدمت على الموت أردت

التخلص من الجسد فقط، وتركنا ذهبا كثيرا للمصريين ولكنهم بتهاونهم تركوه للبعثات الأجنبية وباعه الخونة.

قال محمد علي: المصريون طيبون، لقد اختارونى بمحض إرادتهم مع أننى تركي، لأنهم رأونى مسلمًا، إنهم أكثر شعب يحب الإسلام.

أراد الحديث رجل من قيادات نكسة يونيو فنهره عمرو وقال له: ما الذى أجلسك معنا أيها المنافق الخائن السكير؟

فرد قائلًا: لكل جواد كبوة.

هل أصبح الخنزيرفى عصركم يسمى جوادًا؟

صاح الجاحظ:

ما بالكم أيها الناس؟ نتحدث عن الخلود وتتحدثون عن الخيول؟

فقال عمرو وهو يرمق الرجل الذى ساهم فى النكسة:

-من أراد الخلود فليروّض جسده.

قال عباس:

يا أبا بحر.. إنك لم تفدنى بحل، فالفساد مستشري، وكذلك الضعف والتواكل والوهن ألم تعلم ما حدث فى العراق والقدس؟

الجاحظ: أتريد مني بعد أن أديت رسالتي أن أفكر فيهم؟ فعندهم القرآن فيه كل شيء.

فضجت القاعة بالصخب، ثم سأل مينا وأحمس وحورس والفراعنة العظام: إلى أى شىء يدعو هذا القرآن؟

فقال الجاحظ:

لضيق الوقت سأحاول الاختصار: إنه يدعو إلى التوحيد والإيمان بالله الكامل واحترام حقوق الإنسان وحقوق أهل الأديان جميعًا وحرية العقيدة واحترام الأسير والضعيف والاستعداد بالقوة للحماية والسلام لمن يريده، وعدم اتباع الشهوات،وإقامة حدود رادعة لأمن البشر، ليس هناك سجن، وإنما حرية مطلقة إما قصاص وإما جَلْد وإما

قطع يد. والبحث فى الكون عن أسباب العلم والقوة، ورحمة القوي بالضعيف وتصدق الغنى على الفقير!

قام الملوك الفراعنة العظام كلهم من بداية قول الجاحظ إنه يدعو إلى التوحيد، وبعدما فرغ من كلامه خلعوا تيجانهم وانحنوا لهذه التعاليم إجلالًا ثم قال إخناتون:

أقسم بالإله الأعظم لو أنزل القرآن فى عهدي لحاربت العالم كله من أجله، إنه نور الشمس ولا ينبغى لنور الشمس أن تطفأ ولا ينبغى أن تُعطى لمن لا يريدها فهو وحده الذى ستكسر عظامه.

ابتسم الجاحظ وقال لنفسه: إنه لا يريد أن ينسى عبادة الشمس.

قال عباس:

كيف سنغير عقول أصحاب القرآن الآن؟ إنهم متخلفون.

فقال الجاحظ:

ياعباس .. أيها الشعلة المتوهجة...تراني أجلس مع كليوباترا وشجرة الدر ونفرتيتى وتسألنا عن أهل الأرض بهذا الإلحاح، إننا لا نتقابل إلا يوم الجمعة، فلتأت الجمعة

القادم لاستئناف الحديث ولتعلن عن ذلك الاجتماع.

وتفرقت الأرواح فى نهاية اليوم وذهبت إلى قبورها ماعدا أرواح الشهداء، كانوا يدخلون المسارح والسينما ليشاهدوا التغيرات التى حدثت للعالم، كانوا ينتعشون لسماع عبارة جميلة أوحكمة ولا يتأثرون بالمشاهد المثيرة.فالأرواح ليس عندها غرائز.

وعندما وصل عباس إلى سورية ليدعو الأرواح إلى الاجتماع رأى روحًا تضحك ضحكًا شديدًا فسألها عما يضحكها، وكانت روح رجل من الصحابة - رضوان الله عليهم - فقال له:تخيل....كلما أذهب إلى مكان أسمعهم يتحدثون عنى بأحاديث أسطورية بأنني تصدقت بمعظم مالى وأنني جاهدت وزهدت فى الدنيا مع أن كل هذه الأشياء التى تبهرهم كنت أستمتع بها وأجد فيها لذة ونشوة، أليس شارب الخمر يغيب عن الوعى فتنتعش روحه ثم يبكي بعد أن يفيق؟ وأنا كنت أغيب عن عالم المادة وأصعد بالعبادة إلى أعلى؛ وعندما أفيق أعطي من سألني وأعفو عمن ظلمني وأكظم غيظي طواعية.

فقال عباس: الذكر الحسن يا أخي هو حسنة الدنيا.

سار عباس فرأى روحًا تضحك ضحكًا مجلجلًا. فسأله عما به، فقال:

-أرى ابنتى تبكي.

فقال عباس فى نفسه: يبدو أنه مجنون،ثم سأله:

أتفرح لبكاء ابنتك؟

-نعم إنها تبكي لأن خطيبها تركها وتزوج بأخرى وهي كانت تحبه حبًا جمًا ولا تعرف أنه كاذب ومخادع ولم يكن ليسعدها بعد الزواج. وقد نجاها الله منه وهى لا تدري.

فقال له عباس: هنيئًا لأبناء الشهداء.

فردت عليه الروح: والله يا عباس أرى نعم الله سابغة على كل البشر مؤمنهم

وكافرهم،ولكن الموحد المخلص الذى يعطى لله ويمنع لله- وهم قلة قليلة - يختصر الله لهم الزمان،فما يفعله غيرهم في قرن يفعلونه هم فى عشر سنوات.

ذهب عباس إلى أفغانستان فرأى أرواح علماء المسلمين والتجار الذين نشروا الهدى فى آسيا، فانتهز عباس الفرصة وأخبرهم بموعد الاجتماع، فابتسم العلماء وقال له أحدهم:

أرح نفسك يا عباس، أناس عندهم الخير ويرفضونه، فدعهم يجنون حصاد أعمالهم؛ لطالما سعينا فى الأرض شرقًا وغربًا نسأل عن العلم على ظهور الدواب وسيرًا على الأقدام. ونشرنا الهدى بأفعالنا، ولم نحرم أنفسنا من المتع الحلال،وها هم أولاء الأحفاد يضِيّعون وقتهم فى صراعات ليس منها طائل؛ ما ضرهم لو حلقوا لحاهم ولبسوا هذه الملابس الجديدة؟ ما ضرهم لو أطالوا شعرهم أو قصّروه؟ ثم غلبته دموعه.

تركه عباس وذهب إلى مكة فرأى أرواح الصحابة – رضوان الله عليهم - فبلغهم موعد الاجتماع وسببه. وكانت مكتئبة للغاية، فسألهم عن سبب حزنهم، فقال أحدهم:

والله يا عباس لولا الكعبة لما اخترت مكة مكانًا لى... تخيل يا أخى هذا البلد الذى انتشر منه النور الإلهى أسمع من أهله العجب العجاب، لا أدخل بيتًا إلا وأسمعهم يتحدثون عن أموالهم التى يحفظونها فى بنوك سويسرا ودول أوربا ،ولا أدخل بيتًا إلا وأسمعهم يتحدثون عن آخر الأفلام والأغنيات!

رد عليه عباس:

لقد قابلت أحد علماء المسلمين الآن وقال لى: ما ضرهم لو رأوا وسمعوا مثل هذه الأشياء!

فقال: لا أقصد ذلك يا عباس...إنهم لا يشاهدون الأفلام ولا يسمعون الأغنيات تسلية لهم فى أوقات الراحة ولكنها حياتهم، قل لى بربك ماذا فعلوا فى هذا العالم؟ إنهم كسمكة صغيرة تحيط بها الحيتان ولا ملجأ لها ولا معين إلا الله.

قال صحابي آخر: إنهم يقولون - إذا رأوا رجلًا صالحًا - ضاع عصر الصحابة

ما الذى فعلناه؟ إن أوامر الله كلها سهلة، ليس فيها صعوبة إلا على الذي ركبه الشيطان.

فرد عليه صحابي آخر: الفرق بيننا وبينهم أننا كنا نعد ذنوبنا، أما هم فيعدون حسناتهم.

فقال آخر:

كنا نعطي ابتغاء مرضاة الله فرضي الله عنا وأرضانا في الدنيا والآخرة حتى العلماء كانوا يتصدقون بعلمهم ولا يرتزقون به فأغدق الله عليهم من علمه.

بكى أحد الصحابة وهويقول: لقد حزنت عندما رأيت أحفادي لهم وجوه ناعمة كالنساء.

أراد عباس أن يستريح قليلًا، فراح يبحث فى الأرض عن أى شىء جميل تقرّ به عينه فرأى بيتًا كبيرًا فى القارة السوداء بين الأدغال، يوزع أهله اللبن على الأطفال،

ويعلمونهم، فهلل عباس وكبّر وقال: لقد ظلمنا العرب،اللهم اغفرلنا، فها هم أولاء يشدون الرحال ويبذلون المال وينشرون الهدى فى أفريقية. اقترب من حلقة الدرس ورأى سيدة تلبس ملابس فضفاضة ملائكية الوجه، وأخذ يستمع لها وهى تحدث الأطفال:

ضحى الرب بابنه يسوع ليخلص البشر من ذنوبهم، إن المسيحية لتدعو إلى الرحمة والمساواة بين الأبيض والأسود إنها النور والرحمة المهداة.

تركهم عباس وذهب إلى جنوب القارة السوداء، فرأى رجلًا يخطب فيهم ويقول:

إننا وأنتم مضطهدون فى الأرض، ولابد أن تتعاون معًا حتى نحظى بالاحترام فنحن شعب اليهود يضطهدنا العالم، وأنتم يضطهدكم البيض.

تركهم عباس وأخذ يتجول فوق القارة السوداء. قابل أرواحًا لرجال من التابعين والتجار المسلمين فدعاهم إلى الاجتماع، ثم طار ذاهبًا إلى الجزائر وكانت أرواح الشهداء مزدحمة جدًا، فطلب منهم الاجتماع يوم الجمعة.

فى صباح يوم الجمعة نزل عباس قريبًا من الأرض ليبلغ الأرواح التى تزور عائلاتها بالاجتماع، فرأى روحا على وشك الدخول فى بيت فدخل وراءها، ولكن هذه الروح

اللعوب دخلت فى حجرة نوم أهل البيت فخجل عباس وخرج ينتظرها، فرآها تخرج وهى تقول:

ليتني كنت أعلم...ليتني كنت أعلم. فسألها عما بها فقالت وكانت امرأة:

أحببت الزينة وتفننت فى إظهار مفاتني، والتفّت العيون حولي فى أى مكان ذهبت إليه. بينما وجدت الفتور من زوجي. وبعد موتي مباشرة رأيته ينظر إلى النساء اللاتي

يبدين مفاتنهن مثلما كنت أفعل، ثم تزوج امرأة محجبة، عندما رأيتها قلت: أين هي مني؟ سيزهدها أكثر مما زهدني؛ ودخلت وراءهما فى حجرة النوم فسمعتها تأخذ

عليه عهدًا بأن لا ينظر إلى امرأة غيرها، وهي لن تنظر إلى رجل غيره حتى تراه أجمل الرجال ويراها أجمل النساء فيستمتعا بحياتهما وقالت له: تذكر دائمًا أن الله يراك.

فندمت على مابدر مني، فهذه المرأة أكثر ذكاء مني.

أبلغها عباس بالاجتماع وذهب سريعًا إلى روح أخرى تبكي فسألها عما يبكيها، وكانت روح رجل، فقال له:

ابنى شاب ولا يستطيع الزواج،وكلما يذهب إلى مكان يرى البنات عرايا فيهرب إلى البيت، ويدير التليفزيون فيرى ويسمع ما يغريه بالنظر ولا يعرف أين يهرب. لوتدرى كل فتاة عارية ما تفعله بالشباب لما فعلت ما فعلت،إنها لن تتزوج إلا واحًدا فلماذا تعذب الجميع؟

ردت روح قريبة:

إنهن يستمتعن بتعذيب الرجال، لقد ظل ابنى يهيم فى الأرض بعد ما خانته زوجته لوكان يدري ما ينتظره من خير ما بكى، فبعد عشرسنوات تزوج امرأة أنسته كل

همومه وحمد الله على خيانة زوجته السابقة له، فلولا ذلك ما رأى تلك السعادة.

تذكر عباس أنه لم يذهب إلى الكويت، فأسرع إلى هناك ورأى الأرواح كلها تبكي وفى حالة حزن ويرددون معًا: ليتنا كنا نعلم.

فسألهم: ما الخطب؟ فقالوا:

رزقنا الله المال فأضعناه فيما لا يفيد والباقي استولى عليه صدام وصعدنا إلى الملكوت فرأينا مكاننا فى النار، لم نكسب شيئًا فى الدنيا ولا فى الآخرة. ثم قال أحدهم بحزن:

ذهبت إلى الصحابى عمرو بن الجموح لأننى من نسله،فرحب بى وقال:

أهلًا بابني .. تعالى يا بني، أرنى ماذا فعلت، أريد أن أرى آثارك فى الدنيا. فتلعثمت وخفت أن أتحدث، فقال لي: لا تخجل يا بني .. هل تصدقت بنصف مالك وتخجل أنك مت قبل أن تتصدق بالنصف الآخر؟ أم هل بنيت عشر مدارس فقط؟ هل جبت بعض الدول العربية الفقيرة لتساعد المحتاج ولم تزر الباقي؟ يا بني كلنا نخطيء..

سبحان الله! فهربت منه، فنزل فى الأرض يسأل عني وعرف كل شىء مما سمعه عني فتبرأ مني على الملأ وقال: لست ابنى!

وبكى الرجل وقال: ليتني كنت أعلم.

امتلأت السحب بالأرواح من جميع أنحاء العالم، وبدأ الجاحظ بالكلام:

أيتها الأرواح - أسعدكم الله - لقد اجتمعتم اليوم من أجل أهل الأرض فليتكلم أولًا الأبناء ثم الأجداد.

فقال رجل من فلسطين: القدس الشريفة فى أيدي اليهود.

قال رجل من الجزائر: نعاني من القتل والتدمير والإبادة، والحكومة تتهم الإسلاميين، والإسلاميون يتهمون الحكومة.

قال رجل مصري: مت كمدا عندما لم أستطع دفع مصاريف أولادي من الدروس الخصوصية، وخرجت من الشركة التى أعمل بها بعد الخصخصة.

فقال رجل مصري من القرن العاشر: أرى أن يكتفي كل المصريين بالتعليم حتى الابتدائية، ثم يدخر كل أب مصاريف الدروس الخصوصية ليساعد ابنه فى أي عمل مثمر.

صرخ الرجل المعاصر وقال له: ماذا تقول!؟ إن الشهادة فى بلدنا هي الحياة.

قالت كليوباترا : ماتت الشجاعة فيكم!

وقالت نفرتيتى: مساكين! تضيعون زهرة عمركم للحصول على تلك المسماة الشهادة!

فقال رجل مصري معاصر: الشهادة بالنسبة لنا كالتاج الذى على رؤوسكم.

فقال رجل آخر فرعوني: تنقصكم الشجاعة على ترك هذه الشهادة، بدليل ما الذى يجعل شاب يحصل عليها ثم يعمل سائق تاكسي؟

فرد عليه مصري معاصر: وعند الزواج؛ هل ستقتنع العروس به؟

قال الجاحظ: من يتكلم فليتحر ظروف العصر أولًا.

قال رمسيس: اذهبوا إلى وزير التعليم، فبقرار منه يستطيع أن يغير المنهج الدراسى ويجعله متعة ووسيلة لفهم الحياة والعيش فيها.

فقال مدرس لغة عربية: أصبحنا كالذي قال:

طلبت الشراب فأعطوْني السُّم محضًا

ولما شكوتُ سقوْني السُّم بالعسل

تكلم أناس من العراق ومن اليمن ومن الصومال ورجال من السودان، وانفعل الفراعنة أشد انفعال لعدم اشتراك الغربيين فى الحديث، فتقدم ناحية رجل إنجليزي من القرون الغابرة وقال له: ما رأيك ياهذا ؟

فبكى الرجل الإنجليزي وقال له:

بعد ما جئنا إلى دار الحق وعلمنا كل شيء؛ لا أستطيع إلا أن أقول إن أهل الأرض مساكين حقا، لا يعلمون شيئًا ويجرون وراء السراب.

فذهب الجاحظ إلى رجال من الخليج وقال لهم:

-ألا تتكلمون ؟

ثم سأل السعوديين: مالكم لا تنطقون ؟

ثم أجل الاجتماع إلى الجمعة التالية.

لاحظ الجميع أن أرواح الفراعنة كانت أشدها حماسة وانفعالًا مختلطًا بألم وحزن، فهم أول من بنوا وأول من كتبوا وأول من تاجروا وأول من توصلوا إلى فكرة الإله وفكرة العدل والحساب فى الآخرة، فكيف وصل أبناؤهم إلى تلك الحال المزرية!؟ والتفت كل الأرواح حول الفراعنة ليهدئوا من روعهم ولمواساتهم.

فى الجمعة التالية بدأ عمرو بن العاص الكلام، فالجاحظ لم يكن يحتكر الكلام لنفسه، فقال عمرو موجها حديثه للفراعنة:

فقام الفراعنة وانحنوا له إجلالًا، فقال:

بلغنا أولادكم الهدى ولكن تراكمت عليهم المحن من كيد واحتلال الانجليز الذين مصوا خيره،. وأماتوا فيهم الكرامة!

قال الجاحظ: لقد دافعنا عن الكلب والعصا عندما سبّهما غير العرب، وأخذتنا الحمية، لأننا فهمنا جيدًا أنهم لم يقصدوا الكلب ولا العصا ولكن قصدوا إهانتنا بإهانة العصا التي يجب حملها العرب في طريقهم، ولمصاحبة الكلب للفائدة منه. وهم اكتفوا بمظاهرات عندما سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، تبا لهم!

تكلم رجل من دول الخليج قائلًا:

تتحدثون عن مصر فقط كأننا غير موجودين؟

فقال الجاحظ: كلنا مسلمون لاحدود بيننا، كلها حدود وهمية صنعها الاستعمار الذي غزاكم بغبائكم وتفرقكم.

قال عباس: ولكننا لم نصل إلى الحل الشامل الذى يبدل حال العرب كله.

قال الجاحظ: يؤّجل الاجتماع إلى الجمعة القادم.

بدأ الجاحظ الاجتماع التالى بقوله:

ولقد زعم أناس من المعاصرين_هداهم الله- بأن هناك مؤتمرا للسلام العالمي، أولم يعلم هؤلاء الناس على أي شيء يتفق العباد وعلى أي شيء يختلفون؟ فاعلم - رحمك الله - أن العباد لن يتفقوا أبدا إلا على الحرب، أو على التنافس أو على الكيد، فهذا من شيمتهم وفطرتهم، ألا ترى الصبية يتشاكسون والإخوة يتشاجرون؟ فاعلم أن أوْلى بأهل الأرض أن يعقدوا مؤتمرا للحرب ولتُكْتب العهود على آداب الحرب.

فرد رجل مقاتل: كيف والحرب خدعة؟

-فى الميدان الحرب خدعة وبين المتقاتلين خدعة أما مع المسالمين والأطفال فليس فيها خدعة. وفي انتقال الدواء والغذاء ليس فيها خدعة. ولاينبغي أن يُحرق شجر ولا بيت ولا مكتبة ولا يُكره رجل على دين ولايُعذب أسير.

أراد غاندي الحديث فأذن له، فقال بهدوء:

ألا تستطيع دول العالم الثالث أن يصنعوا ملابسهم بأيديهم ويستغنوا عن منتجات الغرب؟

فقال رجل جزائري: إن الحكومات موالية للغرب ونحن نقاومها قدر استطاعتنا.

فقال غاندى:

لست معكم أيها الجزائرى فيما تصنعون فطالما الحكومة موالية للغرب فلايجب طاعتها فهي خائنة.

قال الجاحظ:

مما سمعناه ليس أمام العرب إلا حلان: أولًا الحرب أو الحرب.

تعجب الجميع، وظهرت عليهم دلائل الدهشة، فقال:

كل فرد يحارب نفسه ويروضها على فعل الخير ثم يحارب الصعوبات التى تعوقه من أجل نشرالعلم والخير فى كل بقعة من الأرض.

قال أحمس:

وأنا أرى الحل هوالغزو، غزو العالم العربي بأرواحنا إنهم محتاجون إلينا.

فقال العلماء المسلمون العرب:

لايا أحمس، نحن أولى بهم منك فنحن ناشرو الهدى فى سبيل الله سنغزوهم بأرواحنا حتى يرحل الغني منهم في طلب العلم ونشر الهدى وبذل المال فى سبيل الله.

قال أبو نواس: موافقون، سنغزوهم جميعا.فقال له شيخ من شيوخ الأزهر:

تبًا لك يا أبا نواس...إنك فاسق شارب خمر، أتريد أن يكونوا مثلك؟

-إنني لم أكذب ولم أخن بلدي ولم أغرر بأحد لقد شربت الخمر فقط وتبت منها قبل الموت،ليت فُسَّاقَهم مثلي!

قال عبد الرحمن بن عوف:

أنا سأغزو الأغنياء حتى يعطوا للفقراء.

وقال عمر المختار: أنا مشتاق إلى أهلى فى ليبيا إنهم محتاجون إلي.

حاول الجميع إقناع المعتصم بالله أن يغزو العراق فوافق.

ثم تحدث رجل يهودي، وهوالذى أشعل الفتنة فى زمن عثمان وعلي رضي الله عنهما، فقال:

وأنا سأغزو اليهود لأبث فيهم روح الدين الصحيح والتوبة إلى الله،فوافقت الأرواح جميعًا.

فليس من المعقول لمن شاهد مكانه فى النار أن يكذب أو يخون لعل الله يخفف عنه العذاب. ولكن هذه الروح اليهودية ابتسمت فى مكر ونزلت مباشرة إلى نيتانياهو

لتحذره من غزو الأرواح العربية والإسلامية والفرعونية للعرب، وعرف هتلر بما حدث واقترح على الأرواح أن يغزو ألمانيا ليحرقوا اليهود، فرفض الجميع لأن الله نهى عن الإحراق، واتفق الجميع على غزو أهل الأرض؛ ولكنهم اختلفوا فى الميعاد. فغزت روح الفراعنة العرب فى ليلة رأس السنة الميلادية فرفضوا الاحتفال بها وذهبوا إلى الأقصروأسوان وأحرقوا البخور فى المعابد وجمعوا السلاح وأسرعوا إلى الخرطوم لمساندتها حتى لا تقسم السودان، وعقدوا العهود مع دول نهر النيل ليكونوا إتحاد دول نهر النيل.

وفى ليلة رأس السنة الهجرية غزت روح المهاجرين والأنصار دول الخليج والسعودية فسحبوا الأموال من البنوك الأجنبية وحولوها إلى بنوك الدول العربية.

وغزت روح العلماء المسلمين المثقفين العرب فكسروا كئوس الهوى وغزوا الغرب ثقافيًا فعادت الثقافة الغربية مدحورة.

وغزت روح التجار العرب رجال الأعمال فاتقوا الله في أعمالهم وساعدوا المحتاجين. وضربوا المثل الأعلى بأخلاقهم. ولم يرض بذلك اليهود والأمريكيون ومن والاهم فنشروا الفتن والأكاذيب بين العرب فتشبث كل عربي بالآية الكريمة من سورة آل عمران:

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)